(حكم ذاتي) أقصاه عاماً من بدء التفاوض؛ ولأن رئيس حكومة اسرائيل، في حينه، اسحق شامير ماطل في المفاوضات، عملت الادارة الاميركية على مضايقته بعدم الموافقة على منحه ضمانات قروض بمبلغ عشرة مليارات دولار، وبدا ان «الضغط» الاميركي كان، من بين أسباب أخرى، عاملاً في اسقاط الليكود في انتخابات الكنيست التي أُجريت في حزيران (يونيو) ١٩٩٢، حيث فاز عليه حزب العمل بزعامة اسحق رابين الذي مع تكليفه بتشكيل الحكومة وضع جدولاً زمنياً للوصول الى تسوية مع الفلسطينيين حدّه الأدنى ستة شهور، وحدّه الاقصى تسعة شهور؛ وطبعاً يستطيع أي مبتدىء ان يحكم على صدقية رابين، الذي منحته الادارة الاميركية ضمانات القروض بعد ان حُجبت عن سلفه.

لكن الرئيس الاميركي الجديد كان واضحاً وقاطعاً في تحديده لقيمة اسرائيل في الاستراتيجية الاميركية، دون ان يقلقه وضعها كدولة احتلال، ولا الممارسات التي تقوم بها بصفتها تلك ضد الشعب الفلسطيني. كما ساد في الاقطار العربية، التي شاركت الى جانب أميركا في الحرب ضد العراق، «وهم» تشي به السياسات التي مورست، في خلال مرحلة التمهيد لمؤتمر مدريد (جولات بيكر الثمانية)، ويفيد هذا الوهم بأن الدول العربية قدّمت ما يكفي لاثبات صدقيتها تجاه الولايات المتحدة الاميركية، كما ثبت ان قيمة اسرائيل في المنطقة ليست ذا وزن، وبالتالي، حسب المنطق اياه، على أميركا ان تتصرّف بما يخدم استمرار مصالحها، وهي، حكماً، ستكون في سياستها متوازنة بين العرب واسرائيل، على الأقل.

وتأسيساً على هذا الوهم، لم ترَ الاطراف العربية، في البداية، ضرورة لاقامة تنسيق عربي مسبق قبل بدء المفاوضات مع اسرائيل. ولا نريد طرح أسئلة لا نملك أجوبة عليها، الّا ان من حقنا، بل من واجبنا، طرح تساؤلات مشحونة بالشكوك حول انعدام الحد الادنى من التنسيق بين الاطراف العربية المعنيّة بالتسوية ليس، فقط، عشية التوجه الى مدريد، بل منذ بدأت جولات بيكر التمهيدية؛ فلماذا كان يجب ان ينقضي أكثر من عام من التفاوض حتى يصل المسؤولون العرب الى القناعة بأنهم عرب ولا يستطيعون ان يكونوا غير ذلك؟

على ما تقدّم، وكون الصراع في المنطقة على المنطقة ذا طبيعة حضارية، نرى ان من الضرورة بمكان الاجابة، عربياً، على تساؤل حول نظرة الولايات المتحدة الاميركية الى طبيعة مصالحها في المنطقة ووسائل تحقيقها وضمانها، وطرق ادارتها من جهة، والى نظرتها الى دول وشعوب المنطقة في ما اذا كانت ترى فيها منطقة واحدة بأهدافها، أو مجموعة فسيفساء يظللها طيف باهت (اسلامي و/أو عروبي)؛ ثم تقويمها (أميركا) للعلاقة في ما بينها وبين دول المنطقة. وفي ضوء الاجابة على التساؤل آنف الذكر تتحدّد، عربياً، بشكل جماعي، أو بمبادرة من أحد أقطار المنطقة (مصر أو سوريا أو السعودية أو العراق أو الجزائر)، رؤية العلاقة العربية ـ الاميركية، ومن ثم تحديد نمط ادارة هذه العلاقة وتطويرها، سلباً أو ايجاباً، حيث يتحدّد الاتجاه بتحديد الرؤية والاهداف، دون الوهم حول الامكانيات، انما منها وعليها يتأسس العمل بعد تحديدها أيضاً.

سيناريو قابل للتشغيل

يلاحظ المتتبع لسير مفاوضات السلام، ان الطرف الاسرائيلي، بعد تولّي رابين السلطة، تنقّل من ملعب عربي الى آخر ملوّحاً مرة للاردن وتارة للفلسطينيين وأخرى للسوريين، وفي الجولة التاسعة (٢٧/٤ ـ ١٣/٥/١٩٩٣) أوحى وكأن اتفاقاً يكاد يحصل مع اللبنانيين. وكانت ردود فعل الاطراف العربية، في كل مرة، تذهب بين «الاتهام» واللوم. ونشير، في هذا الشأن، على سبيل المثال، الى